في كل ليلة حكاية

٧

ولا نقاتل كي يرضى بنا عمر

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

طَلبتْ (ابتهالُ) من وَالدتِها أن تَأخُذَها معَ عَائلتَها وَعائلةِ خالتهَا (أمّ سعيد) إلى زيارةِ مَدينةِ حِمصَ ، حيثُ يَثوي البَطلُ الفارِسُ سيفُ اللهِ وَرسولِه خالدُ بنُ الوَليدِ رَضِيَ الله عنهُ...

واتَّفقُوا على الذَّهابِ في الصباحِ البَاكرِ.. فمدينةُ حمصَ تبعُدُ عن العَاصمةِ دِمَشق قَرابةَ (١٥٥ كم)...

وهكَذا كانَ... وانطلقَ الرَّكبُ إلى مدينةِ حمصَ.. وفي الطَّريقِ رَاحت (أمُّ سَعيد) تدلُّهم على القُرى والمَناطقِ الوَاقعةِ على جَانبيِّ الطَّريقِ...

وَقرابةَ السَّاعةِ العَاشرةِ صَباحاً وَصلوا إلى

مَدينةِ حِمصَ.. وتوجَّهوا إلى زِيارةِ مَسجدِ خَالدِ بن الوليدِ.

وَوقَفُوا عند الحَديقةِ المُحِيطةِ بالمَسجدِ.. واستراحُوا قَليلاً.. ثُمَّ قالتْ (سُعادُ): تَعالوا فاقْرَؤوا أَحدَ أقوالِ البَطلِ خَالد... وقدْ كُتبَ على هذهِ القِطعَةِ الرُّخاميَّةِ ، واقتَرَبُوا إلى تِلكَ القِطعَةِ وقرأَ (أَنور) بِصَوتٍ مُرتفعٍ:

لقدْ شهِدْتُ مئة زَحفٍ أو نحوهَا ، وما في بدَني موضِعُ شِبرٍ إلاَّ وفيهِ ضَربةٌ ، أو طَعنةٌ ، أَو رَميةٌ ، وَهَا أنا ذا أَموتُ على فِراشي ، فلا نَامتْ أعيُنُ الجُبناءِ ، ومالي من عَملٍ أَرْجَىٰ من لا إله إلاَّ الله وأَنا مُتَتَرِّسٌ بها.. ولمَّا دَخلوا المَسجدَ.. صلُّوا لله تعَالى رَكعتين تَحيةَ المَسجدِ.. ثُمَّ وَقفوا أمامَ قَبرِ البَطلِ خَالد.. وَقَرؤوا لهُ الفَاتحةَ...

وَسألَ (سَامي) عن تَاريخِ.. وبَعضِ المَوَاقفِ الرَّائعةِ من حَياةِ أبي سُليمانَ خالدِ بن الوَليدِ...

فَوَعدتهُم (أمُّ أحْمَدَ) أنَّها سَتَحْكِي لَهم حِكَايةَ خَالدٍ في مساءِ هذهِ اللَّيلةِ.

وَأمضَى الجَميعُ نَهاراً جَميلاً.. فهناكَ نهرُ العَاصِي.. وهناكَ الجوُّ الرَّائعُ، وهناكَ أَسواقُ حمصَ القَديمةُ... وهناكَ البسَاتينُ المُحيطَةُ بِحمصَ، وَأهلُها الطَّيبون أَصحابُ النَّكتةِ الرَّائعةِ...

وَبعدَ العَصْرِ انطلقَ الرَّكبُ إلى بحيرةِ قطِّينةَ.. وبعدَ استراحةٍ قصيرةٍ.. وتَناولِ غداءٍ سَريعٍ.. ثُمَّ تَنَاولِ بعضِ الفَواكِهِ التي ابتَاعُوها من أَسواقِ حِمصَ ثُمَّ تناولِ بعَض المَشرُوباتِ الصَّيفيَّةِ البَاردةِ...

قَالتْ (سَميرة): فمَاذا عن حِكَايةِ البَطلِ خَالدِ بنِ الوَليدِ رَضيَ اللهُ عنهُ يا خالتي؟!

منَ الجاهليَّة إلى الدِّين الحَنيفِ يا خَالد

وَراحتْ (أمُّ أَحمد) تَحكي لهم حِكايةَ هذهِ اللَّيلةِ ، فقالتْ:

وَهكَذا تَأخَّر إسلامُ خَالدٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، فقدْ قَاتلَ المُسْلِمينَ في بدرٍ وأُحُد والخَندق ، لكِن لمَّا أرادَ اللهُ لهُ الهِدايةَ والتَّوفيقَ.. جَعلهُ يرَى في الرُّؤيَا أنَّه في بِلادٍ ضَيّقة جَدبةٍ.. ثُمَّ خرجَ إلى مَكانٍ مَليءٍ بالخُضْرةِ والمياهِ العَذبةِ.. وفي الصَّباحِ وَصَلَتْهُ رِسالةٌ من أَخيهِ الوَليدِ يقولُ فيها:

بِسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ، أمَّا بعد ، فَإنِّي لمْ أرَ أَعجبَ من ذَهابِ رأيكَ عن الإسلامِ ، وَعقلُك

عَقلُك ، ومثلُ الإسْلامِ ما جهلهُ أَحدٌ.. ولقدْ قالَ لي رَسُولُ الله ﷺ:

«مَا مِثل خَالدٍ جَهِل الإسلام ، ولوْ كانَ جَعَلَ نكايتهُ وجدَّه معَ المُسلمينَ على المُشركينَ لكانَ خَيراً له ، وَلقدّمناهُ على غَيرهِ».

وَبدونِ شُعورٍ رَأى رِجْلَيْهِ تَحْمِلانه إلى صَديقهِ (عُثمان بن طَلحةَ) فَحدَّثه بما جَرى معهُ فَوافقَ على الهجرَةِ إلى رَسولِ الله ﷺ.. ، وانطلقَ عُثمانُ معَ خالدٍ باتِّجاهِ المَدِينةِ المنوَّرةِ، في الطَّريقِ لَقِيا صَديقهما (عَمرو بن العَاصِ) فسألاه: ويحكَ يا بنَ العَاص؟ ما الذي أَخْرَجَكَ في هذا الوَقتِ؟

قَالَ: الدُّخولُ في دينِ مُحمَّد بن عَبد الله ﷺ.

فقالا: وذاكَ الذي أَخرجَنا يا عَمرو..

وَهكَذا وَصَلُوا إلى المَدينةِ المنوَّرةِ ، فلمَّا مَثلوا أمامَ رَسولِ الله.. قالَ خَالدٌ: أَشْهَدُ أن

لا إله إلا الله ، وأنَّك يا محمَّدُ رَسولُ الله.

فَقالَ الرَّسولُ: «الحمدُ لله الذي هَداكَ ، قد كُنتُ أَرى لكَ عَقلاً ، وَرجَوتُ أن لا يسلمكَ إلاّ إلى خَيرٍ».

فقالَ خالدٌ: يا رسولَ الله ، قدْ رأيتَ ما كُنتُ أَشهدُ من تلكَ المواطنِ عليكَ مُعانداً عن الحقِّ ، فادعُ اللهَ أنْ يَغْفِرهَا لي.

فَرفعَ رسولُ اللهِ يَده وقَالَ: «اللَّهمَّ اغفرْ لِخالدِ بن الوَليدِ كلَّ مَا أوضعَ فيهِ من صَدٍّ عن سَبيلكَ».

وَكان ذلكَ في السَّنةِ (٨) الثَّامنةِ من الهِجرَةِ النّبويَّةِ.

قصصٌ رائعةٌ عن شَجاعتهِ وبُطُولتهِ

سبُحانَ مُغيّر الأَحْوالِ.. لَقدِ انقلبَ خَالدُ بن الوَليدِ رأساً على عقبٍ.. حَيثُ كانَ لا يدعُ مَوقفاً إلاَّ

يحاربُ فيه الرَّسولَ وَصحابَتهُ... بينَما تَراهُ ما إن أَعلنَ إسلامهُ حتَّى راحَ يُفتِّشُ عن مَوقفٍ يقفُ مع الإسْلامِ وأَهلهِ.. ليعادلَ الكفَّتينِ..!!

وَكانتْ مَوقِعَةُ (مُؤتةَ) وفيها أَظهرَ خَالدٌ رَضيَ الله عنهُ عبقريَّتهُ العَسكريَّةَ.. لقدْ قَادَ المعركةَ الصَّحابيُّ زَيدُ بنُ حَارثةَ.. وَأبلى بَلاءً حَسناً حتَّى سقطَ شَهيداً ، فحملَ الرَّايةَ جعفرُ بن أَبي طَالبٍ وَقَاتلَ قتالاً لا مثيلَ لهُ حتَّى سقطَ شَهيداً ، فحملَ الرَّايةُ عبدُ الله بنُ رَوَاحَة.. وانقَضَّ على العَدوِّ ، وقاتلَ حتَّى سقطَ شَهيداً...

فأخذَ الرَّايةَ خَالدُ بنُ الوَليدِ رَضيَ الله عنهُم أَجمعين ، فَقامَ بخدعةٍ رَهيبةٍ: إذْ لمَّا أظلمَ اللَّيلُ ، عَمدَ إلى الجيشِ فَغيَّر نظامهُ ، وَراحَ يسحبُ قِسماً وَراءَ قسمٍ ، وَأمرَ فرقةً منَ الجيشِ أن تُحدثَ ضَجَّةً.. وتُثيرُ الغُبارَ في السَّاحلِ ..!!

فلمَّا رأَى العَدوُّ ذَلِكَ ظَنُّوا أنَّ إمداداتٍ كَبيرةً جَاءتْ إلى المُسلمينَ، وبذلكَ استطاعَ خَالدٌ رَضيَ الله عنهُ أن يُنقذَ الجيشَ الإسلاميَّ من الهَلاكِ ، وَلمَّا وصلَ الخبرُ إلى رَسولِ اللهِ اعتَبرَ ذَلكَ فَتحاً مُبيناً.

وَلكِنْ يا والدَتي ـ تَسألُ (أسْماءُ)ـ: وهلْ بَرزتْ شَجاعةُ سيِّدنا خَالدٍ في مَواطنَ غَيرِ (مُؤْتَة)؟

أَجابتْ (أمُّ أحمد): أجلْ يَا أَحبَّتي فما أَكثرَ المَواقِفِ البطوليَّة في حياةِ خَالدٍ ، بلْ وكلّ حياتِهِ تَدورُ في فَلكِ الشَّجاعةِ والفُروسيَّةِ..

لقدْ وقفَ رَضي اللهُ عنهُ معَ رسولِ الله ﷺ في غَزوةِ فَتحِ مكّة المكرَّمةِ ، وكانَ يقودُ جماعةً من المُسلمينَ...

وَكذَلكَ فقدْ شَاركَ في غَزوةِ (حُنَين) وأبلى فيهَا بَلاءً حَسناً.

وأمَّا في غَزوةِ تَبوك ، والتي حَدَثَتْ في السَّنةِ (٩) التَّاسعةِ من الهجرَةِ النّبويَّةِ المُباركةِ ، فقدْ خَرجَ رَسولُ الله ﷺ على رَأسِ جَيشٍ يُناهزُ الثَّلاثينِ أَلفاً.. ولمَّا وَصلُوا منطقةَ تَبوك أمرَ الرَّسولُ فرقةً من الجيشِ تحتَ إمرةِ خَالدِ بنِ الوَليدِ أن يذهَبوا إلى (أُكيدر دومة الجَنْدلِ)...

ولمَّا وَصلَ خَبرُ قُدومِ خَالد رضيَ اللهُ عنهُ إلى (أُكيدر) سَلَّم نفسهُ وقبلَ الصُّلْحَ معَ المُسْلمينَ!!

وبعدَ انتقالِ رَسولِ الله ﷺ إلى الرَّفيقِ الأَعلى...

وَفي السَّنةِ (١١ هـ) انتقلَ رَسولُ الله ﷺ إلى الرَّفيقِ الأَعْلى ، واستلمَ الخِلافةَ من بَعدهِ أبو بَكرٍ الصِّدِّيقُ رَضيَ الله عَنْهُ... فمَاذا كانَ دَورُ خَالدٍ رَضِيَ الله عنهُ؟

إنَّ خَالداً رضي اللهُ عنهُ كانَ حُبُّ الشَّجاعةِ والجهادِ في سبيلِ الله يَسري في عُروقهِ، كمَا

تَسري الكَهرباءُ في الأَسْلاكِ!!

كيفَ لا وهوَ الذي كانَ يُردِّد: مَا أدْري من أيّ يَوميّ أَفرّ: يوم أرادَ اللهُ أن يَهدي لي فيهِ شَهادَةً ، أو يومٍ أرادَ اللهُ أن يَهْدي لي فيه كَرامَة!!

كيفَ لا... وهوَ الذي كَانَ يقولُ: مَا من لَيلةٍ تُهدى إليَّ فِيهَا عَروسٌ أنا لهَا مُحبٌّ ، أحبُّ إليَّ من لَيلةٍ شَديدةِ البَردِ ، كَثيرةِ الجليدِ ، في سريَّة أُصبِّحُ فيها العَدوَّ!!

كيفَ لا؟ وهو الذي أَرسلَ إلى (رُستُم) رسالةً يقَولُ فيها: سَلامٌ على من اتَّبعَ الهُدى ، أمَّا بَعد: فإنَّا ندعوكُم إلى الإسْلامِ ، فَإنْ أبيتُمْ ، فَأعطوا الجزيةَ عَن يدٍ وأنتُم صَاغِرُونَ ، وإنْ أبيتُم فاعْلَمُوا أنِّي قدْ جِئْتُكُم بِقَومٍ يَحرصُونَ على المَوْتِ كمَا تَحرصُونَ على الحَياةِ!!

إذاً يا خَالتي ـ سَألتْ (سَميرةُ) ـ فَماذا فعلَ في

عَهدِ أبَي بَكرٍ ثُمَّ في عَهدِ عُمَر رضيَ اللهُ عَنهُم...؟

لَقدْ تابَعَ مَسيرةَ الجهادِ في سَبيلِ اللهِ تَعالى ، وَكانَ له الدَّورُ الأكبرُ في القَضاءِ عَلى المُرْتَدِّينَ ، حيثُ قَضى على فِتنَةِ طُليحةَ بنِ خُويلدٍ الأَسديّ ، ثُمَّ على مُسيلمةَ الكذَّاب ، وَبعدها تَوجَّه إلى فتحِ كَثيرٍ من مُدنِ العِراقِ كالبَصرةِ ، ثُمَّ إلى فتحِ كَثيرٍ من مدنِ بلادِ الشَّامِ كبصرَى وَتَدمُر...

أَجلْ لقدْ قَالَ إمبراطورُ الرُّومِ يَوماً لجُنُودِهِ: وَاللهِ لنشْغلنَّ أَبا بكرٍ عن أن يوردَ خَيلهُ إلى أَرْضِنا!!

فكانَ رَدّ أبي بَكرٍ رَضيَ الله عنهُ: واللهِ لأَشفينَّ وَساوسهُم بِخَالِد!!

ولمَّا كانَ خالدٌ رضيَ اللهُ عنهُ يَخُوضُ مَعركةً عَنِيفةً مع الرُّومِ ، إذا بالبَريدِ يَحملُ إليهِ رَسالةً من الخَليفةِ... فَتنحَّى جَانباً وفتحَها وقرأَ فِيْها

نَعْيَ عُمرَ لأبي بَكرٍ رضيَ الله عنهُم.. ثُمَّ قَرار عُمَرَ بعَزلِ خَالدٍ عن قيادةِ الجيشِ..!!

وَكتمَ خَالدٌ الأمرَ لكيْ لا تَحدثُ بلبلةٌ ضِمْنَ صُفُوفِ الجيشِ الإسلاميِّ.. وتَابعَ المعركَة قَائداً...

حتىَّ إذا ما انتهَتِ المَعركةُ ، وكتبَ اللهُ النَّصرَ لِلمسلمينَ... نَادى خَالدٌ أبَا عبيدةَ بن الجرَّاحِ وأطلعهُ على رِسالةِ الخَليفةِ الجديدِ.. وقالَ: وأَنا جُنديٌّ تحتَ إمرتكَ يا أَبا عُبيدَة!!

إنّا نقاتلُ كَي يَرضَى الإلهُ بنَا

وَلاَ نقاتلُ كيْ يَرضَى بنا عُمر!!

وَليسَ ذلكَ يَعْني أنَّ الفاروقَ عُمَر كانَ يكرهُ سَيفَ الله خَالداً.. أَبداً.. إنَّما أرادَ عُمَرُ رضيَ اللهُ عنهُ أَن يُصَحّحَ اعتقادَ بعضِ النَّاسِ ، والذي

يَتلخَّصُ بأنَّ خَالدَ بنَ الوليدِ يحملُ النَّصرَ في كلِّ مَعْركةٍ..

يقولُ عُمَرُ: النَّصرُ أَولاً وآخراً بيدِ اللهِ.. وَلذلكَ عِندمَا وصلَ خبرُ مَوتِ خَالدٍ إلى المَدينةِ المنوَّرةِ.. بكاهُ المُسلمونَ وخاصَّة الفَاروق عُمَر.. حيثَ قالَ أمامَ النَّاسِ: عَجَزتِ النِّساءُ أن يلدنَ مِثل خَالد!!

وَبالمقابلِ وَجدُوا في وصيَّةِ خَالد رضيَ الله عنهُ أنَّ كلّ مايَملك هو لِعمرَ رَضي الله عنهُ!!

لَكنْ مَا هيَ تَرِكَةُ سيِّدنا خَالدٍ يا ترَى؟!

إنَّها سلاحهُ وفَرسهُ فَقطْ!!

وَهكَذا ودَّع سيِّدُنا خَالدٌ هَذهِ الدُّنيَا الفَانيةَ.. وكانَ ذلكَ في سَنةِ (٢١ هـ) إحدَى وَعشرينَ من الهِجرَةِ.. ودُفنَ في حِمصَ، وَقبرهُ مَشهورٌ يَزُورهُ النَّاسُ... ليتَذكَّروا ذلكَ البَطلَ الشُّجاعَ.. والذي

نذرَ نَفسهُ جُندياً في سَبيلِ الله تَعالى.. فَرضيَ اللهُ عَنكَ يا أَبا سُليمانَ.. وحَشرَنا اللهُ وإيَّاكَ في جِنانِ الخُلدِ.. مَعَ النَّبيينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ والصَّالحينَ، وحَسُنَ أُولئكَ رَفيقاً..

وَإلى حكايةٍ جديدةٍ في لَيلةٍ جَديدةٍ بإذنِ الله تَعالى.

والحمدُ لله ربِّ العَالمين